

مِيلادُ أَرْبَعِ قِطط

[كُتبت في يولييه 1966 ، أي قبل نكسة 1967 بحوالي عام ، وكانت مصر مثقلةً بالشِّعارات الجوفاء ، والموضع الماقتصادي والاجتماعي الخائق ..]

الليلُ يسقط فوقَ شارعنا القديمُ

والعائدون إلى منازلهم .. معاطف مثقلاتُ

حملت من المطر الكثير ، وأوحلت أطرافها المتمزقاتُ

وخلا الطريقُ ..

لأشياء غير المصمّت ، يقطعه رذاذ الماء من وقتٍ لآخر !

وكما تهزّ الريحُ شُبّاكي ، فيعوي من تماسكه العتيقُ

ماءت هنالك خلف صندوق القمامة ..قطّةٌ عَجْفاءُ

وتمرّغت في الوحل ، وانتفضت من الأندواء

وامتدّ في وجه السماء تمزّقُ البرق المضيء

أسلاك ذارٍ تخطف البَصَرا ..

وتشعُّ تحت سناه عينا القططة السوداء

نظراتُها المترنحات ، وصوتُها المتقطعُ.

وعلى القمامة أربعُ ..

عمياءُ .. تبحث في صقيع الليلة الحمقاء عن ثدي دَفِيٍّ ..

وتسوخ في الأوحال ، ثم تعود تنكفئُ ..

صرّخاتها المتلهفات تذوب في وقع المياه ..

« عودي بنا أمّه !! »

« عودي بنا أمّه .. »

* *

الليلُ يمضي مُثْقَلَ الخطوات ، معصوبَ الجبين.

والفجر مرتعش ، يحاول أن يبين ولما يبين

والمقطعة المعجفاء ذاهبة تفتش عن لُقَيّ مه !

« ربّاه .. كل المدرب أوحال ، ولما ظلّ لشيء ! »

« والناس ما زالوا نياماً ، والمقاممة موحله »

« حتى المقاممة .. موحله ! »

وجرت مبعثرةً ، تسائل كل زاويةٍ وركن

وتقلّب الأحجار لاهثةً ، وتعدو شارد

« الجوعُ يُفري ، والمنهار .. »

« سيجيء بالأطفال يعتصرون أمعاء الصغار .. »

«ولكم تفسُّخٌ تحت عينيها.. صغارُ!»

**

عادت وقد طلع المصباحُ، وشقَّت الشمسُ المضَّبابُ

لترى المصَّغار على القمامة، والرصيف مبعثرين

الوَحْلُ في الأَفْواه مَحْشُوٌّ، وفوق رؤوسهم متكوِّمٌ

وعلى محاجرهم دمٌ..

وتحسَّست أجسادهم، فبَكَتْ، وماءتْ، وانثنت

للمشارع المسدود.. تَعْبِرُه، وتسمع في مداهُ

صوتاً يدافعها صداهُ..

«عودي بنا أُمَّاهُ..».

عودي بنا أُمَّاهُ..».

* * *